﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين قصَّة هذه الآية وبين القصَّة الَّتي قبلها: "مناسبة تماثل ومناسبة تضادٍّ: فأمَّا التَّماثل؛ فإنَّ في كلتيهما عدم الرِّضا بما حكم الله تعالى، فإنَّ بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إيَّاهم بالدُّخول إلى الأرض المقدَّسة، وأحد ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه؛ لأنَّه لم يكن من المتَّقين، وفي كلتيهما جرأة على الله بعد المعصية، فبنو إسرائيل قالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ وابن آدم قال: لأقتلنَّ الَّذي تقبَّل الله منه، وأمَّا التَّضادُّ؛ فإنَّ في إحداهما إقدامًا مذمومًا من ابن آدم، وإحجامًا مذمومًا من بني إسرائيل، وإن في إحداهما اتِّفاق أخوين، هما: موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى، وفي الأخرى: اختلاف أخوين بالصَّلاح والفساد"[1].

وخلاصة المناسبة: التَّنبيهُ من الله على أنَّ ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود، هو كظلم ابن آدم لأخيه، فالدَّاء قديم، والشَّرُّ أصيل[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قُرۡبَانٗا﴾: القافُ والرَّاءُ والباءُ: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلاف البعد، والاقترابُ: الدُّنوُّ، والتَقَرُّبُ: التَّدنِّي إلى شيء، والتَّواصل إلى إنسان بحقٍّ أو قَرابةٍ، والقرب: الحظوة والمنزلة الرَّفيعة، والرِّعاية، والقدرة، وقرب العبد من الله تعالى عبارة عن امتثال أوامره واجتناب نواهيه، والقُرْبان: ما تَقَرَّبْتَ به إلى الله تبتغي به قُرْبًا ووسيلة، فأصل القُرْبان: ما يُتقرَّبُ به إلى الباري تعالى، ثُمَّ غلب في العُرف على النَّسيكة الَّتي هي الذَّبيحة، وجمعها: قرابين[3].

(1) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنوير: 6/168.
(2) الشَّوكاني، فتح القدير: 2/36.
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفَّاظ: (قرب).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الخطاب لرسول الله ﷺ أن اتلُ على أهل الكتاب وسائر النَّاس ذلك النَّبأ العظيم نبأ ابني آدم تلاوة متلبِّسة بالحقِّ مظهرة له، مبيِّنًا ما فيه من الحكمة والكشف عن غريزة البشر، وهو ما جبلوا عليه من التَّباين والاختلاف الَّذي يفضي إلى التَّحاسد والبغي والقتل؛ ليعلموا حكمة الله فيما شرعه في الدُّنيا من عقاب الباغين من الأفراد والجماعات، والشُّعوب والقبائل، وكون هذا البغي من اليهود على رسول الله والمؤمنين ليس من أمر دينهم، وإنَّما هو من حسدهم وبغيهم، فهم في هذا كابني آدم؛ إذ حسد شرُّهما خيرَهما، فبغى عليه، فقتله، وكانت عاقبة ذلك ما بيَّنته هذه الآيات[1].

وترشدُ الآية الكريمة إلى تعظيم أمر الحسد، وتشديد النَّهي عنه؛ لكونه يحمل الإنسان على أعظم الكبائر[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الوصل بين المقاطعِ:

الوصلُ بين المقاطعِ حسنٌ تخلُّصٍ، وتمهيدٌ لما سيأتي

عطف نبأً على نبأٍ، وقصَّةً على قصَّة؛ ليكون مقدِّمة للتَّحذير من قتل النَّفس والحرابة والسَّرقة، ويتبع بتحريم الخمر وأحكام الوصيَّة وغيرها، وليحسن التَّخلُّص ممَّا استطرد من الأنباء والقصص الَّتي هي مواقع عبرة، وتنظَّم كلُّها في جرائر الغرور[3].

تعيينُ مرجعِ الضَّمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

الضَّمير عائدٌ على أهل الكتاب، أو عموم النَّاس

والضَّمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ظاهر أمره أنَّه يراد به بنو إسرائيل؛ لوجْهين: أحدهما: أنَّ المحاورة فيما تقدَّم إنَّما هي في شأنهم، وإقامة الحجج عليهم بسبب همِّهم ببسط اليد إلى النَّبيِّ محمَّد ﷺ، والثَّاني: أنَّ علم ﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ إنَّما هو عندهم في كتبهم، وعليهم تقوم الحُجَّة في إيراده[4]، فالمراد أهل الكتاب، أو عموم النَّاس[5].

(1) رضا، تفسير المنار: 6/282.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/325.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/168.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/178.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/337.

فنُّ الاحتراسِ في صيغة التَّثنيةِ:

دفعُ توهمِ إرادةِ واحدٍ من البشر

معنى ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ هنا: ولداه، فالحديث في الآية عن أخوين من ولده عليه السلام، إلَّا أنَّ التَّعبير بالتَّثنية مقصود؛ لكون تعبير (ابن آدم) مفردًا قد يراد به واحد من البشر[1].

وجوه تعلُّقِ لفظ (الحقِّ) بفعل ﴿*وَٱتۡلُ﴾:

اجتماعُ معاني الصِّحَّة، والصِّدق، والسَّلامة، والاعتبار

الباء في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ للملابسة، ولفظ الحقِّ متعلِّقٌ بفعل ﴿*وَٱتۡلُ﴾، ويأتي على معانٍ:

الأوّل: أي: تلاوة متلبِّسة بالحقِّ والصِّحَّة من عند الله تعالى.

الثَّاني: أي: تلاوة متلبِّسة بالصِّدق والحقِّ موافقة لما في التَّوراة والإنجيل.

الثَّالث: بالحقِّ؛ أي: بالغرض الصَّحيح، وهو تقبيح الحسد؛ لأنَّ المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله ﷺ ويبيعون عليه.

الرَّابع: بالحقِّ؛ أي: ليعتبروا به، لا ليحملوه على اللَّعب والباطل والتَّفكُّه، واللهو، مثل كثير من الأقاصيص الَّتي لا فائدة فيها، فإنَّ قصص القرآن تُساق للعبرة لا لمجرَّد الحكاية، فيكون من الحقِّ ضدُّ الباطل، ومن الجدِّ غير الهزل[2].

يرادُ بالحقِّ: الإشارة إلى ما حفَّ بالقصَّة من زيادات:

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ مشيرًا إلى ما حفَّ بالقصَّة من زيادات زادها أهلُ القصص من بني إسرائيل في أسباب قتلِ أحدِ الأخوين أخَاهُ[3].

بيان تعلُّقِ ﴿إِذۡ﴾ بلفظِ ﴿نَبَأَ﴾:

﴿إِذۡ﴾ ظرف زمان لـ ﴿نَبَأَ﴾ أي: خبرهما الحاصل وقت تقريبهما

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/168.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/338، والطّيبي، فتوحُ الغيب: 5/332، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/169.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/169.

قربانًا، فينتصب ﴿إِذْ﴾ على المفعول فيه، ويجوز أن يكون بدلًا من النَّبأ، أي: واتلُ عليهم من النَّبأ، نبأ ذلك الوقت، على تقدير حذف المضاف[1].

اشتقاق فعل ﴿قَرَّبَا﴾ وأثره في المعنى:

الفعل ﴿قَرَّبَا﴾ مشتقٌّ من القُرْبان، وهو اسمٌ لما يُتقرَّب به المرء إلى ربِّه من صدقة أو نُسك أو صلاة، فاشتقَّ من القربان قرب[2]، والتَّعبير عنه بصيغة (فعَّل)؛ لتكثير الفعل وللمبالغة في أدائه.

توجيه إفراد القُرْبان:

الْقُرْبَانُ اسْمُ جِنْسٍ فَهُوَ يَصْلُحُ لِلْوَاحِدِ وَالْعَدَدِ

تَقْدِيرُ الْكَلَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾، قَرَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قُرْبَانًا إِلَّا أَنَّهُ جَمَعَهُمَا فِي الْفِعْلِ وَأَفْرَدَ الِاسْمَ، لِأَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِفِعْلِهِمَا عَلَى أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ قُرْبَانًا. وَقِيلَ: إِنَّ الْقُرْبَانَ اسْمُ جِنْسٍ، فَهُوَ يَصْلُحُ لِلْوَاحِدِ وَالْعَدَدِ، وَأَيْضًا فَالْقُرْبَانُ مَصْدَرٌ كَالرُّجْحَانِ وَالْغُدْوَانِ وَالْكُفْرَانِ، وَالْمَصْدَرُ لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ[3].

دلالات التَّعبير عن فعل التَّقبُّل بالفعل الَّذي لم يُسمَّ فاعله:

أمر القبول أو عدمه موكولٌ إلى الله تعالى

عبَّر عن فعل تقبُّل القُرْبان بصيغة ما لم يُسمَّ فاعله (تُقُبِّلَ - لم يُتَقَبَّل) مع أنَّ فاعل التَّقبُّل وعدمه معلوم ضرورة، وهو الله ﷻ، يؤيِّده قوله في ختام الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ﴾، ويشير هذا البناء إلى أنَّ أمر القبول أو عدمه موكول إلى قوَّة غيبيَّة وإلى كيفيَّة غيبيَّة، وأنَّ على العبد أن يجتهد في العبادةِ، وأن يجعل جلَّ تفكيره في ذلك، وأنَّ قبولها هو لله ﷻ.

سرُّ تشديد فعل التَّقبُّل وعدمه:

التَّعبير بصيغة التَّفعُّل يراد به التَّقبُّل تقبُّلًا خاصًّا، مبالغًا فيه، وهو

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/338، و ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/169.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/624، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/169.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/338.

تـشـديـد فـعـل التَّقبُّل للمبالغة في قبول القُرْبان وعدم قبوله

التَّقبُّل التَّامُّ العظيم[1]، وفي ذلك إظهارٌ لفضل الله بتقبُّله للقربان، وهو الغنيُّ عنه؛ لعدم حاجته إلى القُرْبان تعالى وجلَّ وعزَّ، وكذا الأمر مع تشديد فعل عدم التَّقبُّل، ففيه مبالغةٌ في عدم قبول القُرْبان.

وجْهُ إبهامِ اسمِ المتقبَّل منه وغير المتقبَّل منه:

لم يسمِّ الله تعالى المتقبَّل منه الَّذي لم يتقبَّل منه؛ لأنَّ في الكلام دليلًا عليه[2]، ولا جَدْوى لذلك في موقع العبرة[3].

نكْتَة التَّوكيد في فعل القتل:

بيانُ الرَّغبةِ في القتلِ والإصرار على ذلك

عبَّر النَّظمُ عن إصرار الأخ على قتل أخيه بتصدير فعل القتل باللَّام الموطِّئة للقسم، وتذييله بنون التَّوكيد الثَّقيلة: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، في ملمحٍ تعلو فيه روحُ الإجرام، وطبعُ الانتقام، والرَّغبة الصَّادقة في الخلاص من أخيه، فقوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ "وعيد وتهديد شديد، وقد أبرز هذا الخبر مؤكَّدًا بالقسم المحذوف؛ أي: لأقتلنَّك حسدًا على تقبُّل قربانك"[4].

إيـثـار فـعـل المضارعة ترسيخٌ لـلإصـرار على الـقـتـل الآن أو مستقبلًا

علَّة التَّعبير بصيغة المضارع:

رسَّخ معنى الإصرار، والرَّغبة الصَّادقة في القتل التَّعبير عن فعله بصيغة المضارع الدَّالِّ على إرادة القتل في الحال وتجدُّده واستمراره زمن المستقبل، ومن ثمَّ فهو لا محالة متحقِّق منه الآن أو غدًا.

قـصـر الـقـبـول عـلـى المـتَّـقـين أمـرٌ مـعـلـومٌ، وذكـــره على سبيل التَّذكير والتَّشريف

بلاغة القَصْر بـ ﴿إِنَّمَا﴾:

تأتي (إِنَّمَا) إثباتًا لما يذكر بعدها ونفيًا لما سواه، أو للإخبار عن أمر لا يجهلُه المخاطب، ولا يدفع صحَّته، فيلمح فيها عندئذٍ دلالات التَّنبيه والتَّذكير والمبالغة[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/170.
(2) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/166.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/170.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/228.
(5) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 312 - 314.

فجاءت ﴿إِنَّمَا﴾ للحصْر، وأفادت قصْرَ القبول على المتَّقين، والقصْر نفي وإثبات؛ أي: إنَّ التَّقوى هي سبب القبول، فإن وجدت؛ كان القبول، وإن لم توجد؛ انتفى القبول، وتفيد ثانيًا أنَّ عدم القبول إنَّما يكون من نفس المتصدِّق، لَا من أمر خارجيٍّ، فالجزاء على قدر النِّيَّة، فالتَّقوى دائمًا من القلوب[1]، وبها صار أحد القُرْبانين مقبولًا والآخر مردودًا؛ لأنَّ حصول التَّقوى شرطٌ في قبول الأعمال[2].

بلاغةُ الكنايةِ في جوابِ المقتول:

جـوابُ المقتول كنايةٌ عن سببِ عدم القبول

ورد جواب هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ على سبيل الكناية[3] والتعريض والموعظة والتَّنصُّل ممَّا يوجب قتله، ووجْه الكناية والتَّعريض: أنَّ القبول فعل الله لا فعل غيره، وهو يتقبَّل من المتَّقي لا من غيره، وهو تعريض به أنَّه ليس بتقيٍّ، ولذلك لم يتقبَّل الله منه، وآية ذلك أنّه يضمر قتل النَّفس؛ ولذا فلا ذنب لمن تقبَّل الله قربانه يستوجب القتل[4].

وأجاب قوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ بكلام حكيم مختصر جامع لمعانٍ بـقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ إذ لمَّا كان الحسد لأخيه على تقبُّل قربانه هو الذي حمله على توعُّده بالقتل؛ كان جوابه: إنَّما أتيت من قِبل نفسك لانسلاخها من لباس التَّقوى، لا من قبلي، فلِمَ تقتلني؟ ومالك لا تعاتب نفسك، ولا تحملها على تقوى الله التي هي السَّبب في القبول؟ وفي هذا الجواب دليلٌ على أنَّ الله تعالى لا يقبل طاعة إلَّا من مؤمن متَّقٍ[5]، وفي ذلك حثٌّ له على التَّقوى[6].

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 2/36، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2124.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/338.
(3) الرازي، المسائل والأجوبة، ص: 69.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/170.
(5) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/624.
(6) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/325.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّبأ والخبر:

إنَّ أوَّل دمٍ سُفك على وجه الأرض لنبأٌ عظيمٌ

إنَّ النَّبأ لَا يكون إلَّا للإخبار بِمَا لا يعلمهُ المُخْبَر، وَيجوز أَن يكون الْخَبَر بِمَا يعلمهُ، وبِمَا لا يعلمهُ، والنَّبأ: معنى عَظِيم الشَّأن، ومنه أُخذتْ صفة النَّبيِّ، واشتقَّ لفظُ النُّبوَّة؛ لأنَّ النَّبيَّ مخبرٌ عن الله؛ وَلِهَذَا يُقَال: سَيكون لفُلَان نبأٌ، وَلَا يُقَال: خبر بِهَذَا الْمَعْنى[1].

فالنَّبأ: "خبرٌ ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غَلَبَة ظنٍّ، ولا يقال للخبر في الأصل: نَبَأٌ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثَّلاثة، وحقُّ الخبر الَّذي يقال فيه: نَبَأٌ أن يتعرَّى عن الكذب، كالتَّواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النَّبيِّ ﷺ ولتضمُّن النَّبأ معنى: الخبر، يقال: أَنْبَأْتُهُ بكذا كقولك: أخبرته بكذا، ولتضمُّنه معنى: العلم، قيل: أَنْبَأْتُهُ كذا"[2]، ولِعِظَم شأن القصَّة عُبِّرَ عنها بـ(النَّبأ)؛ لكونها تفصِّل القول في أول حادثة قتل عرفتها البشريَّة.

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 41.
(2) الرّاغب، المفردات: (نبأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»